

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يقدم
من سلسلة "كيف تتلذذ بعبادتك؟"
توبة خاصة الخاصة



لفضيلة الشيخ: مشاري الخراز

رابط المادة: www.way2allah.com/khotab-item-76392.htm

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:
التوبة ثلاثة أنواع بين كل نوع والآخر كما بين السماء والأرض، النوع الأول من التوبة هو توبة العامة، النوع الثاني هو توبة الخاصة، النوع الثالث وهو أعلاها: توبة خاصة الخاصة.
قال الله تعالى: "هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ" آل عمران: ١٦٣، ما الفرق بين هذه الأنواع الثلاثة؟

أنواع التوبة والفرق بينها:

أولاً: توبة العامة

الفرق هو أن النوع الأول وهي توبة العامة تكون توبة عن الذنوب والمعاصي مثل توبة عن الغيبة أو الزنا أو الربا أو الشتم أو النظر للمحرمات، هذه توبة عامة الناس وهؤلاء تُبدل سيئاتهم التي تابوا منها إلى حسنات، قد يقول قائل وهل توجد توبة أخرى؟ هذه هي التوبة التي نعرفها! لا.. توجد توبة أعلى من هذه تسمى توبة الخاصة وهي لخواص عباد الله عز وجل.

ثانياً: توبة الخاصة

هذه التوبة ليست واجبة بل هي توبة مستحبة وهي أن يتوب العبد من ترك المستحبات، يعني يتوب من تركه لقيام الليل، يتوب من عدم قوله لأذكار الصباح والمساء، مثلاً في يوم من الأيام تكاسل عن صلاة الضحى فيتوب من تكاسله ذلك اليوم، هذه توبة الخواص

طيب لماذا يتوب هل هو فعل معصية؟ لا.. لا هذه التوبة ليس سببها أنه قد فعل معصية، سببها أنه قد قصر في طاعة مستحبة، قد أحس بالندم لأنه ترك شيئاً يحبه الله تعالى فتأب من هذا الترك وإلا فهي غير واجبة على العبد كما ذكرت إنما هي توبة مستحبة إن فعلها أخذ أجرًا وإن لم يفعلها فلا شيء عليه لهذا فهي توبة خواص المؤمنين.

ثالثاً: توبة خاصة الخاصة

ومع هذا توجد توبة أعلى، أعلى من هذه أيضاً! قد يقول قائل لا يمكن! شخص فعل واجبات ولم يترك مستحبات يتوب من ماذا؟، ماذا بقي عليه ليتوب منه؟! بل يوجد توبة أخرى لكن هذه التوبة خاصة الخاصة وهي أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها العبد في التوبة وهي أن يتوب العبد من فعل المباحات فتصبح أعماله كلها حسنات ولا مكان للمباح.

تحويل المباحات إلى مستحبات

قد يقول قائل المباحات ليست محرمة أصلاً فلماذا أتوب منها هل هذا يعني أن أبقى طوال اليوم في المسجد لا أخرج؟ الجواب مَنْ قال أن التوبة تكون فقط في المحرمات، يمكنك أن تتوب توبة ليست في المحرمات فقط ولكن توبة تحول المباحات إلى ثواب وحسنات يعني أنك تفعل نفس المباحات الذي كنت تفعلها في السابق لا يتغير عليك شيء ولكن تحول هذه المباحات إلى مستحبات والذي يفعل ذلك لا شك بأنه أعلى مقاماً عند الله تعالى، قال الله عز وجل: **"هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"** الزمر: ٩

كيف يمكن تحويل المباحات إلى مستحبات!؟

كيف أحول المباحات إلى مستحبات!؟ الجواب: توجد طريقة تحول المباحات إلى مستحبات باستخدام النية الذكية، كيف؟ إذا أردت أن تفعل مُباحًا فانو أنك تريد فعله لتتقوى به على طاعة الله تعالى. مثلاً: أن تأكل بنية التقوي على الصلاة لأنك لو لم تأكل فلن تستطيع الخشوع في الصلاة، هذا واقع، أنت ستنام ستنام، لماذا تنام هكذا بلا نية سبع ساعات بلا ثواب؟ خسارة ولكن انو بنومك أن تتقوى على الأذكار لأنك إن لم تنم فمن المستحيل أن تركز لا في الأذكار ولا في العمل ولا في أي شيء.

النية هي تجارة الأبرار

ولهذا النية يسمونها تجارة الأبرار لأنها في الحقيقة تجارة الأذكيا يجعلون الأشياء التي ليست فيها حسنات حسنات، إنهم يحولون التراب إلى ذهب بالنية. قال بعض أهل العلم: **"المؤمن وقت الراحة بالنسبة له طاعة، ووقت الطاعة بالنسبة له راحة"**، العجيب أن هذه النية سهلة لا تتعب أحداً، هل رأيت أحداً يتعب إذا نوى؟ يعني هل دخل البيت أحد من أهلك وقال لك الصراحة أنا اليوم تعبت، نويت، نويت، نويت ولم أعد أستحمل! هل يحدث هذا؟ النية بسيطة حتى لو أكثرنا منها فلن نصاب لا بشد عضلي ولا بتمزق في الأربطة ولا شيء.

استعن بالله لتعقد النية

النية سهلة ولكن أتدرون ما هو الغريب؟ الغريب أنها مع سهولتها فإن القليل من يتذكرها، فما هو الحل؟ الحل هو التوفيق من الله عز وجل، اطلب من الله تعالى أن يوفقك لها، قل: **"اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ"** صححه الالباني، **"اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ"** صححه الالباني

إذا رآك الله تعالى صادقاً في الرغبة إليه أخذ بيدك إليه وشرح صدرك لتذكر أحسن العبادات بل ستراه يلقي النية الصالحة في قلبك إذا علم فعلاً أنك تريدتها من كل قلبك، قال الله تعالى: **"وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"**

العنكبوت: ٦٩

تحويل المباحات إلى مستحبات أمر اختياري مستحب

قد يقول آخر: لماذا هذا التشدد، حتى المباحات تريدون أن نحولها إلى مستحبات؟ نقول له: من ألزمتك؟ لا تحول المباحات إلى حسنات، هذا أمر مستحب، شيء اختياري لمن أراد ذلك، فإن شئت أن تفعله فهذا قرارك ولكن إن لم ترغب بفعله فلا تمنع غيرك من أن يحصل على المستحب، لماذا تُنكر شيئاً يزيد من حسنات الناس دعهم يجتهدون، أنت لن تخسر شيئاً والناس يتفاوتون في العمل.

قال الله تعالى: "هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ" آل عمران: ١٦٣

إذا خلاص اتفقنا على أن نحول المباحات إلى طاعة وحسنات بالنية، طيب الآن أنا أعرف ماذا سيحدث؟

أمثلة على النوايا التي تحول المباحات إلى مستحبات:

بعض الإخوة والأخوات سيقولون المشكلة أنني لا أعرف ما هي النية التي أحول بها المباحات إلى حسنات؟، يعني أنا لا أعرف ما هي النوايا التي تحول المباحات أصلاً إلى مستحبات؟

بسيطة إن أردت أن تذهب إلى العمل مثلاً لا تنو الذهاب للوظيفة فقط لكي لا يُخصم من راتبك.. لا، انو أن تعف أهلك وأولادك عن الحرام وأن تعمر بلدك المسلم وأن تخدم المسلمين وأن تقضي مصالحهم ومعاملاتهم، عندها سيكون ذهابك للعمل في كل يوم أكثر ثواباً وأجرًا وليس فقط مباحًا.

إذا أردت أن تقود السيارة لا تنو التنقل من مكان لآخر، لا انو أيضًا أن تستخدم السيارة في حسن الخلق فتحصل على ثواب لأنك تقود السيارة بحسن خلق.

في دراستك انو أن تفرح والديك وأن تنفع المسلمين بعلومك وسيصبح ذهابك للدراسة كل يوم أجر في أجر. إذا أردت أن تلعب الكرة، لا تنو فقط الترويح عن النفس والرغبة في الفوز بل انو أيضًا أن تدخل السرور على إخوانك المسلمين الذين يلعبون معك وأن تقوي جسدك بالرياضة، يعني توجد أشياء كثيرة كثيرة، هذه فقط أمثلة.

يجب أن يوافق عملك نيتك

بعض الناس يقول أنا أحس أنني لا أحول المباحات إلى مستحبات في النية لأنني أصلاً سأفعل المباح سأفعله فلا أحس أنني أفعله لله فكأنني أقول النية هكذا بلا طعم ولا لون فهل لي فيها أجر؟ لا أحس أنني أفعلها لله! الجواب: الحقيقة يوجد ضابط هو الذي يبين لك هل فعلت هذا المباح لله، الضابط: أن يوافق فعلك نيتك بحيث تكون صادقاً في هذه النية، كيف؟

أمثلة على ذلك:**النية عند الأكل**

سأضرب مثلاً: لو فرضنا أن شخصاً أراد أن يحول الأكل الذي هو مباح إلى مستحب بالنية فنوى بالطعام التقوي على الصلاة لكنه لما أكل أكل حتى انتفخ بحيث أصبح ثقيلًا في الحركة هذا في الحقيقة غير صادق في نيته ولن يُوجر عليها لأنه قال أريد أن أستعين بالطعام على الطاعة وفعله ليس بمن يستعين بالطعام على الطاعة بل أصبح

الطعام مثقلاً عن الطاعة بسبب كثرته وأما إذا أكل بقدر مناسب فهذا هو الذي تتحول مباحاته إلى حسنات.

النية في الوظيفة

ولو أراد شخص أن يحول المباح في الوظيفة إلى أجر فنوى بذهابه للعمل أن يساعد المسلمين، فإذا كان فعلاً هو يساعدهم فهو صادق أما إذا كان يقول للمراجعين تعالوا في الغد ويؤخرهم بلا سبب فهذا غير صادق بنيته فلا يؤجر عليها.

النية في النوم

وهذا الذي نوى بالنوم التقوي على الطاعة ولو كان صادقاً فعلاً لما نام الساعة الثانية ليلاً لأنه لن يستيقظ أصلاً لصلاة الفجر فالمسألة ليست فقط نية بل يجب أن نكون صادقين في النية بحيث لا تتخالف النية الفعل.

أنواع الناس أمام الله:

ما مضى كان أنواع التوبة، أما أنواع الناس جميعاً أمام الله تعالى التائب وغير التائب فهم ينقسمون إلى أقسام ثلاثة: أصحاب الشمال وأصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون، طيب ماهو الفرق بينهم؟

أولاً: أصحاب الشمال

أصحاب الشمال هم الذين فعلوا محرمات كالزنا أو أو أنهم تركوا واجبات كالصلاة أو الحج أو بر الوالدين ثم ماتوا وهم لم يتوبوا من ذلك، هؤلاء أصحاب الشمال.

ثانياً: أصحاب اليمين

أصحاب اليمين هم الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات لكنهم لم يجتهدوا في المستحبات

ثالثاً: السابقون المقربون

أما السابقون فهم الذين تابوا من المحرمات وتركوا المكروهات وعندما فعلوا الواجبات زادوا عليها فعل المستحبات كالسنن الرواتب وقيام الليل والأذكار والنوايا المستحبة التي ذكرناها في الحلقة فصاروا من السابقين لأن الجنة ليست على درجة واحدة.

السؤال الآن من أي المراتب تُحب أن تكون أنت؟ أعيدك بالله أن تكون من أصحاب الشمال وأحب أن تكون من أصحاب اليمين لكن سادعو لك بأن تصبح من السابقين، أسأل الله أن يوفقكم وأن يشرح صدوركم وأن يغفر ذنوبنا كلها وأن يدخلنا وإياكم الفردوس الأعلى بلا حساب ولا عذاب

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفرغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>

